

# الاحتجاج بكثرة الاستعمال في اللغة العربية

د. جابر زيد الخلف

الاحتجاج بكثرة الاستعمال في اللغة العربية يرد في الألفاظ التي كثر دورانها على ألسنتهم ، والألفاظ إذا كثر دورانها مالوا بها إلى التخفيف ، والتخفيف يأخذ ألواناً متعددة ، منها ما يكون بالحذف ، والحذف قد يكون من الرسم فقط ، كما في البسمة ، والأسماء الموصولة للمفرد والجمع ، وقد يكون من الرسم ، واللفظ معاً ؛ كما في حذف حرف النداء ، وياء الإضافة مع لفظة (رَبِّ) خاصة ، أو حذف حرف الجر مع (أَنْ) الخفيفة والثقيلة .

وقد يكون التخفيف في القلب ، كما في لفظة (أشياء) و(هَار) ، وقد يكون في التغيير عن الأصل ، كما في لفظة (تَعَالَى) .

وقد يكون التخفيف في تغيير الحركة أو نقلها ، كما في (أَل) التعريف وقد يكون في الإمالة .

قال ابن خالويه : « وهم يخففون ما كثر استعماله ؛ أمّا بحذفٍ وأمّا بإمالةٍ وأمّا بتخفيف ، ودليل ذلك ؛ إمالتهم (النار) لكثرة الاستعمال ، وتقخير (الجار) لقلة الاستعمال »<sup>(١)</sup> . ١. هـ .

(١) (الحجة) : (٩٤) .

وإليك مسرداً بالفاظ خففت لكثرة الاستعمال:

١- البسملة: كُلُّ أمر لا يُبتدأ فيه بذكر الله فهو أجزم ، مقطوع الصلة ، محقوق البركة ، لذا لما كثر دوران البسملة على ألسنتهم استوجب ذلك تخفيفها ، والتخفيف حصل في ثلاثة ألفاظ منها:

أ- ( بسم ) : حيث حذف منها الألف في الخط لكثرة الاستعمال ، وطولت الباء لمكان حذف الألف ، ولا تحذف في غير ( بسم الله ) ، ولهذا كُتِبَ: ﴿اقرأ باسم ربك﴾<sup>(١)</sup> ، ولا تحذف الألف منه إذا أدخلت عليه غير الباء من حروف الجر ، لقولك: لاسم الله حلاوة ، ولا اسم كاسم الله<sup>(٢)</sup>.

وقال مكي بن أبي طالب: « وحذف الألف من الخط في ( بسم الله ) لكثرة الاستعمال ، وقيل ؛ حذفت لتحرك السين في الأصل ، لأن أصل السين الحركة ، وسكونها لعل دخلتها . وقيل: حذفت للزوم الباء هذا الاسم . فإن كتبت: (بسم الرحمن) ، أو (بسم الخالق) ، حذفت الألف أيضاً عند الأخفش ، والكسائي . وقال الفراء: لا تحذف إلا في ( بسم الله ) فقط . فإن أدخلت على اسم الله غير الباء من حروف الخفض لم يجز حذف الألف عند أحد ، نحو قولك: ليس اسم كاسم الله ، وقولك لاسم الله حلاوة<sup>(٣)</sup>.

وقال صاحب المطالع النصيرية: « في البسملة الكريمة الكاملة تحذف منها ألف (اسم) لكثرة الاستعمال ، بشرط أن لا يذكر متعلق الباء ، لا متقدماً ، ولا متأخراً ، مثل: باسم الله الرحمن الرحيم استفتح ، أو استعين مثلاً لم تحذف ، وكذلك لا تحذف إذا اقتصر على الجلالة ، ولم يذكر الرحمن الرحيم . كما في قوله تعالى: ﴿ باسم الله مجراها ﴾<sup>(٤)</sup> ، كما نص عليه الشافعية<sup>(٥)</sup>.

(١) «سورة العلق»: (١).

(٢) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣١/١) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٦٥/١) .

(٤) «سورة هود»: (٤١) .

(٥) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣١/١) ، حاشية (١) .

وموضع ( بسم ) رفع عند البصريين على إضمار مبتدأ تقديره: ابتدائي بسم الله . وقال الكوفيون: ( بسم الله ) في موضع نصب على إضمار فعل تقديره: ابتدأت باسم الله . وهو عند البصريين مشتق من ( سما يسمو ) ، وعند الكوفيين مشتق من ( السمة )<sup>(١)</sup> .

ب - لفظ الجلالة (الله): الأصل في اسم الله عز وجل (إلاه) ، ثم دخلت الألف واللام فصار (الإلاه)، فحذفت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام الأولى، ثم أدغمت الأولى في الثانية، ولزم الإدغام، والحذف للتعظيم، والتفخيم .

وقيل: بل حذفت الهمزة حذفاً ، وعوض منها الألف واللام ، والزمنا للتعظيم . وقيل: أصله (لاه) ثم دخلت الألف واللام عليه ، فالزمنا للتعظيم .

ووجب الإدغام لسكون الأولى من المثليين ، ودل على ذلك قولهم: لهي أبوك ، يريدون لله أبوك ، فأخروا العين في موضع اللام ؛ لكثرة استعمالهم له، ويدل عليه أيضاً قوله:

لاه ابنُ عمِّك لا أفضلت في حسبٍ غني ولا أنت ديّاني فتخزوني<sup>(٢)</sup> .

يريدون: لله . وقد ذكر الزجاجُ في بعض أماليه عن الخليل أن أصله (ولاه)، ثم أبدل من الواو همزة كاشاح ووشاح ، والألف في (لاه) منقلبة عن ياء دلّ على ذلك قولهم: لهي أبوك ، فظهرت الياء عوضاً من الألف . فدلّ على أن أصل الألف الياء<sup>(٣)</sup> .

ومن خصائص لفظ الجلالة أنه يحذف منه واو القسم ، ويبقى اللفظ الكريم مجروراً ، وذلك قولهم: الله لأفعلنّ ، قياساً على ( رَبّ ) حيث تُحذف ، ويبقى واوها ، وذلك كله لكثرة الاستعمال<sup>(٤)</sup> .

(١) ينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٦٦/١) .

(٢) «الخصائص»: (٢٨٨/٢) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٦٦-٦٧/١) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن»: (٧٤٨/٢) .

قال سيبويه: « ومن العرب مَنْ يقول: والله لأفعلن » ، وذلك أنه أراد الجرَّ وإياه نوى ، وجاز حيث كثرت في كلامهم ، وحذفوه تخفيفاً ، كما حذف رُبَّ في قوله:

وَجَدَاءَ مَا يُرْجَى بِهَا ذُو قَرَابَةِ لِعَظْفٍ وَمَا يَخْشَى السَّمَاءَ رَبِّيْهَا

إنما يريدون: رُبَّ جداء . وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم:

( لاه أبوك ) حذفوا لام الإضافة ، واللام الأخرى ؛ ليخففوا الحرف على اللسان ، وذلك ينون ، وقال بعضهم: لهي أبوك ، فقلب العين ، وجعل اللام ساكنة ، إذ صارت مكان العين ، كما كانت العين ساكنة ، وتركوا آخر الاسم مفتوحاً ، كما تركوا آخر ( أين ) مفتوحاً ، وإنما فعلوا ذلك به حيث غيروه؛ لكثرت في كلامهم . فغيروا إعرابه كما غيروه <sup>(١)</sup>.

ومن الحذف الذي يخص الاسم الكريم في القسم ؛ لكثرة الاستعمال في قول مَنْ يقول من العرب: إي ها الله ذا ، ( أي هلله ذا ) فيحذف الألف التي بعدَ الهاء ، ولا يكونُ في القسم ها هنا إلا الجر ، لأن قولهم: ( ها ) صارَ عوضاً من اللفظ بالواو فحذفت تخفيفاً على اللسان ، ألا ترى أنَّ الواو لا تظهرها هنا ، كما تظهرُ في قولك: والله ! فتركهم الواو ها هنا البتة ، يدلُّك على أنها ذهبت من هنا تخفيفاً على اللسان ، وعوضت منها (ها) ، ولو كانت تذهب من هنا . كما كانت تذهب من قولهم: الله لأفعلن ، إذن لأدخلت الواو . وأما قولهم (ذا) فزعم الخليلُ أنه المحلوفُ عليه ، كآث قال: «إي والله للأمرُ هذا ، فحذف الأمرُ لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم » <sup>(٢)</sup>.

ج - ( الرحمن ) : وأما لفظةِ الرحمن ، فقد حذفت منها الألف في الرسم لليلة نفسها ، وهي كثرة الاستعمال ، حيث كثر دورانها على ألسنتهم ، إذا رافقت البسمة بكاملها <sup>(٣)</sup>.

(١) «الكتاب»: (١٤٤/٢ - ١٤٥) .

(٢) «الكتاب»: (١٤٤/٢ - ١٤٥) .

(٣) ينظر «مشكل إعراب القرآن»: (١/٦٥ - ٦٦) .

٢- حَذَفُ إحدى اللامين من الاسم الموصول (المفرد والجمع ) لكثرة الاستعمال: قال أبو البركات بن الأنباري: «قوله تعالى: ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾»<sup>(١)</sup>، الإفراد والجمع الأصل أن يكتب بلامين ، إلا أنهم حذفوا إحداهما؛ لكثرة الاستعمال في الإفراد والجمع ، بخلاف التثنية حيث كتبت بلامين على الأصل لقلّة استعمالها «<sup>(٢)</sup>.

٣- ( الناس ) : قال أبو البركات بن الأنباري: « قوله تعالى: ﴿ مِنْ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ ﴾ »<sup>(٣)</sup> ، أصله ( أناس ) ، عند أكثر البصريين ، حذفت منه الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ولهذا لا يُقال ( الأناس ) إلا في الشاذ: إنَّ المنايا يطلعن على الأناس الآمنينا «<sup>(٤)</sup>.

٤- حذف حرف النداء مع لفظة (رب) سبحانه: ونداء الربّ قد كثر حذف (يا) منه في القرآن ، وعلة ذلك أنّ في حذف (يا) من نداء الربّ تعالى معنى التعظيم له والتتزيه ، وذلك أنّ النداء فيه طرف من معنى الأمر ، لأنك إن قلتَ: يا زَيْدُ ، فمعناه: تعال يا زَيْدُ ، أدعوك يا زَيْدُ . فحذفت (يا) من نداء الرب ليزول معنى الأمر وينقص ؛ لأنّ (يا) تؤكده وتظهر معناه ، وكان في حذف (يا) التعظيم والإجلال والتتزيه للرب ، فكثر حذفها في القرآن ، والكلام في نداء الرب لذلك المعنى<sup>(٥)</sup> مع كثرة الدعاء بلفظه (رب) ، ودورانها على الألسن مما استوجب التخفيف .

٥- حذف حرف الجر مع (أن) الخفيفة والثقيلة: قال مكّي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿ أَنْ تُنْزَلَ ﴾<sup>(٦)</sup> : « (أن) ، في موضع نصب على حذف حرف الجر تقديره: من أن تنزل . ويجوز على قياس قول الخليل ، وسيبويه أن تكون

(١) «سورة الفاتحة»: (٧) .

(٢) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣٩/١) ، وينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٧١/١) .

(٣) «سورة الناس»: (٦) .

(٤) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٥٥٠/٢) .

(٥) «مشكل إعراب القرآن»: (٢٨٥/١) .

(٦) «سورة التوبة»: (٦٤) .

في موضع خفض على إرادة (من) ؛ لأنَّ حرف الجر قد كثر حذفه مع (أن) ،  
فعمل مضمراً ، ولا يجوز ذلك عندهما مع غير (أن) ، لكثرة حذفه مع (أن)  
خاصة <sup>(١)</sup> .

وقال في قوله تعالى: ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> : « (أنَّ) ، في موضع  
نصب تقديره: بأنهم ، أو لأنهم ، فلما حذف الحرف ، تعدى الفعل فنصب  
الموضع. و(أن) المفتوحة أبداً مشدودة ، أو مخففة ، هي حرف على انفرادها ،  
وهي اسم مع ما بعدها ؛ لأنها وما بعدها مصدر يحكم عليها بوجوه الإعراب  
على قدر العامل الذي قبلها . ويجوز أن تكون في موضع خفض بحرف الجر  
المحذوف ، وهو مذهب الخليل لما كثر حذفه مع (أن) خاصة عمل محذوفاً  
عمله موجوداً في اللفظ <sup>(٣)</sup> .

٦- حذف نون الوقاية: قوله تعالى: ﴿ أَتَحَاجُونِي ﴾ <sup>(٤)</sup> ، مَنْ خَفَّفَ  
النون <sup>(٥)</sup> ، فلما حذف الثانية التي دخلت مع الياء التي هي ضمير المتكلم ؛  
لا اجتماع المثلين مع كثرة الاستعمال . وترك النون التي هي علامة الرفع ، فيه  
قبح ؛ لأنه كسرهما لمجاورتها الياء ، وحققها الفتح ، فوقع في الكلمة حذف  
وتغيير . وَمَنْ شدد أدغم النون الأولى في الثانية ، وله نظائر . ومن زعم أن  
النون الأولى هي المحذوفة استدل على ذلك بكسرة النون الثانية ، وذلك لا  
يجوز ؛ لأن النون الأولى علامة الرفع ، ولا يحذف الرفع من الأفعال لغير  
جازم ولا ناصب ، ويدل على أن الثانية هي المحذوفة دون الأولى قولهم في  
(ليتني) ليتني ، فيحذفون النون التي مع الياء <sup>(٦)</sup> .

٧- (هلم): أصلها عند البصريين مركبة من (ها) للتنبيه ، و(الميم) بمعنى؛

(١) «مشكل إعراب القرآن»: (١/٣٣٣) .

(٢) «سورة يونس»: (٣٣) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (١/٣٤٥) .

(٤) «سورة الأنعام»: (٨٠) .

(٥) قرأ بتخفيف النون المديان وابن ذكران . ينظر «النشر»: (٢/٢٥٩) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن»: (١/٢٥٨) .

اقصد إلينا ، وأقبل إلينا ، لكن نُثِر الاستعمالُ فيها فحذفت ألف الوصل من (الميم) ، فصارت: (هالم) ، فحذفت الألف من (ها) التنبيه ؛ لالتقاء الساكنين فصارت: ( هلم ) بعد نقل الحركة إلى اللام .

وقال الخليل: « هي مركبة من (ها) التنبيه ، و(لم) ، من لَمْ اللهُ شَعْنُهُ ، أي جمعه ، وحذفت ألف (ها) التنبيه لكثرة الاستعمال فصارت (هلم) » .

وعند الكوفيين مركبة من (هَلْ) التي ليست للاستفهام ، وإنما هي من (حَيْهَل) ، و(أَمْ) ، فحذفت همزة (أَمْ) لكثرة الاستعمال ، وألقيت حركتها على اللام فصارت (هلم) .

ولغة الحجاز بلفظ واحد ، وعند بني تميم تنسب للضمير ، فيُقال للمرأة: هلمي ، وللأثنين: هلمّا ، وللجمع: هلموا<sup>(١)</sup> .

وقد فصل القول فيها كذلك مكّي بن أبي طالب عند قوله تعالى: ﴿ هَلَمْ إِيْنَا ﴾<sup>(٢)</sup> ، كما ذكرها بالتفصيل ابن الأنباري عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلَمْ شَهِدَاءَكُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> .

٨- حذف النون من مضارع (كان) المنجزم: قال سيبويه: « فما حذف ، وأصله في الكلام غيرُ ذلك (لَمْ أَكُ ) » ، وقال: « لأن الشيء إذا كثرُ في كلامهم كان له نحو ليس لغيره فما هو مثله ، ألا ترى أنك تقول: لَمْ أَكُ ، ولا تقول: لَمْ أَقُ ، تريدُ أقل »<sup>(٤)</sup> .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا ﴾<sup>(٥)</sup> ، قال مكّي وابن الأنباري: «إنما حذفت النون من (يَكُ) على قول سيبويه ؛ لكثرة الاستعمال » .

وقال المبرد: « لأنها أشبهت نون الإعراب يريدُ في قولك: تدخلين ،

(١) ينظر تفصيل المسألة في «شرح المفصل»: (٤١-٤٣) ، و«الهمع»: (١٠٦-١٠٧) .

(٢) «سورة الأحزاب»: (١٨) ، وينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٣٤٨-٣٤٩) .

(٣) «سورة الأنعام»: (١٥٠) ، وينظر «البيان في إعراب القرآن»: (٣٤٨-٣٤٩) .

(٤) ينظر «الكتاب»: (٨/١) ، (٣١٠) .

(٥) «المؤمن»: (٢٨) .

وتدخلون ، وتدخلان <sup>(١)</sup> . وفي قوله تعالى: ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ <sup>(٢)</sup> ، كسرت النون لسكونها ، وسكون اللام بعدها . . . ومثله: ﴿ قم الليل ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وهو كثير في القرآن ، وفي كل فعل مجزوم مبني ، وعينه واو ، أو ياء ، أو ألف مبدلة من أحدهما ، ولا يحسن حذف النون من (يكن) ، في هذا على لغة مَنْ قال: ليس زيداً قائماً ؛ لأنها قد تحركت ، وإنما يجوز حذفها إن كانت ساكنة في الوصل فتشبه بحروف المد واللين ، فتحذف للمشابهة ، وكثرة الاستعمال . وإذا تحركت زالت المشابهة ، وامتنع الحذف إلا في شعر (فقد أتى) حذفها بعد أن تحركت ؛ لالتقاء الساكنين <sup>(٤)</sup> .

٩- ( أب وابن ) : قوله تعالى: ﴿ آبَاءَهُمْ أو أَبْنَاءَهُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، أصل (أب)، ( أبو ) على ( فَعَلَ ) ، دليله قولهم ( أبوان ) ، في التثنية وحذف الواو منه ؛ لكثرة الاستعمال . ولو جرى على أصول الاعتلال والقياس لقلت: ( أباك ) ، في الرفع والنصب والخفض ، ولقلت: ( أبا ) ، في الرفع والنصب والخفض ، بمنزلة ( عصا ) ، و ( عصاك ) ، وبعض العرب يفعل فيه ذلك . ولكن جرى على غير قياس الاعتلال في أكثر اللغات ، وحسُن ذلك ؛ لكثرة استعماله وتعرفه . فأما ( ابن ) ، فالساقط منه ( ياء ) ، وأصله ( بني ) مشتق من (بني يبنين)، والعلة فيه كالعلة في (أب) - أي كثرة الاستعمال - وقد قيل إنَّ الساقط منه واو لقولهم: ( البنوة ) ، وهو غلط ، لأنَّ البنوة وزنها الفعولة ، وأصلها البنوية، فأدغمت الياء في الواو ، وغلب الواو للضمتين قبلها ، ولو كانت ضمة واحدة؛ لغيرت إلى الكسر وغلبت الياء ، ولكن لو أتى بالياء في هذا الوجه تغيير ضمتين فتستحيل الكلمة <sup>(٦)</sup> .

(١) «مشكل إعراب القرآن»: (٢/٦٣٦) ، وينظر «البيان»: (٢/٣٣٠) .

(٢) «سورة البينة»: (١) .

(٣) «سورة المزمل»: (٢) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن»: (٢/٨٣١) ، و«البيان»: (١/٢٥٤) ، آية: ﴿ وإن تك حسنة ﴾ «النساء»: (٤٠) .

(٥) «سورة المجادلة»: (٢٢) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن»: (٢/٧٢٣ - ٧٢٤) .



١٠- (لن): هي الناصبة للفعل عند سيويه ، وقال الخليل: « أصلها ؛ (لا أن) ، فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، ثم حذفت الألف لسكونها ، وسكون النون فبقيت (لن) »<sup>(١)</sup> .

قال سيويه: « فأمّا الخليل فزعم أنها ؛ لا أن ، ولكنهم حذفوا ؛ لكثرتهم في كلامهم ، كما قالوا: ويلمه ، يريدون: وَيْ لَمْه ، وكما قالوا: يومئذ ، وجعلت بمنزلة ، حرفٍ واحدٍ ، كما جعلوا ( هلا ) بمنزلةً حرف واحد ، فإنما هي: هل ولا ، وأمّا غيره فزعم أنّه ليس في (لن) زيادة ، وليست من كلمتين ، ولكنها بمنزلة شيء واحد على حرفين ليست فيه زيادة ، وأنها في حروف النصب بمنزلة (لم) ، في حروف الجزم »<sup>(٢)</sup> .

وقال ابن يعيش: « اعلم أنّ ( لن ) ، معناها النفي ، وهي موضوعة لنفي المستقبل ، وهي أبلغ في نفيه من ( لا ) . لأنّ ( لا ) تنفي بفعل إذا أريد به المستقبل ، ولن تنفي فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين ، وسوف . وتقع جواباً لقول القائل: سيقوم زيدٌ ، وسوف يقوم ... واعلم أنهم قد اختلفوا في لفظ ( لن ) .

فذهب الخليل إلى أنها مركبة من ، ( لا وأن ) ، الناصبة ... فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وهما الألف والنون بعدها فصار اللفظ ( لن ) . وكان الفراء يذهب إلى أنها (لا)، والنون فيها بدل من الألف »<sup>(٣)</sup> .

وقال السيوطي: « من نواصب المضارع ( لن ) ، والجمهور أنها حرف بسيط لا تركيب فيه ، ولا إبدال . وقال الخليل ، والكسائي: أنها مركبة من (لا أن)، حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال، كما حذفت في قولهم (ويلمه)، والأصل (ويل أمه) ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ألف ( لا ) ونون (أن) فصارت ( لن ) ، والحامل لهما على ذلك قربها في اللفظ من (لا أن)،

(١) «مشكل إعراب القرآن»: (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦) .

(٢) «الكتاب»: (١/ ٤٠٧) .

(٣) «شرح المفصل»: (٨/ ١١١-١١٢) .

ووجود معنى ( لا وأن ) ، فيها وهو النفي ، والتخليص للاستقبال «<sup>(١)</sup> .

١١- ( أخت وبنت )<sup>(٢)</sup> : من قوله تعالى : ( يا أخت هارون ) ، التاء في أخت ليست بأصل لكنها بمنزلة الأصل ، لأنها زيدت للإلحاق ، لأنَّ أصل الاسم ( أخوة ) على ( فعلة ) ، فحذفت الواو ، وضمت الهمزة لتدل على الواو والمحذوفة ، كما كسرت الباء في ( بنت ) لتدل على الياء المحذوفة . وأصل بنت ( بنية ) ، فبقى الاسم على حرفين ؛ الهمزة والخاء ، فزيدت التاء والحق ببناء ( فعل ) والتصغير والجمع ، فتقول : أخت وأخوات ، وحذف الواو فيها على غير قياس ، وقيل لكثرة الاستعمال ، وكان القياس أن تقول في الواحد (أخاه) تقلب الواو ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها ، وكذلك التاء في (بنت)، زيدت لتلحق الاسم ببناء ( جذع ) ، لأن الياء فيها حذفت على غير قياس ، إلا أنَّ بنتاً لا ترد الياء فيها في الجمع وترد في التصغير ، تقول في التصغير (بنية) ، كما تقول في أخت ( أختة ) وتقول في الجمع ( بنات ) ، ولا تقول ( بنيات ) ، كما تقول ( أخوات )<sup>(٣)</sup> .

١٢- حذف الألف من ( ما ) الاستفهامية إن دخل عليها حرف الجر : قوله تعالى : ﴿ فِيمَ كُنْتُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، ( فِيمَ ) جار ومجرور في موضع نصب ؛ لأنه خبر كنتم . و ( ما ) ها هنا استفهامية ، ولهذا حذفت الألف منها لدخول حرف الجر عليها ، لأنَّ ( ما ) إذا دخل عليها حرف الجر حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ليفرق بين الخبر والاستفهام . ولم يحذفوا من ( ما ) في الخبر إلا في موضع واحد ، وهو قولهم : ادْعُ بِمِ شئت ، أي بالذي شئت ، وما عداه فلا يحذف فيه الألف<sup>(٥)</sup> .

(١) «مع الهوامع» : (٣/٢) .

(٢) «سورة مريم» : (٢٨) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن» : (٤٥٣-٤٥٤) ، وينظر «البيان» : (١٢٣/٢ - ١٢٤) .

(٤) «سورة النساء» : (٩٧) .

(٥) «البيان في غريب إعراب القرآن» : (٢٦٦/١) .

١٣- ( خيرٌ وشرٌ ) : « ويقال: ما أخيرَ وخيرَ ، وأشرَ ، وشرَ ، وهذا خيرٌ منه وأخيرٌ منه ... وهو أخيرٌ منك ، وأشرٌ منك في الخيارة والشرارة بإثبات الألف ، وقالوا في الخير والشر: هو خيرٌ منك وشرٌ منك » <sup>(١)</sup> . قوله تعالى: ﴿ أولئك شرٌّ مكاناً ﴾ <sup>(٢)</sup> . شرٌ أصله ( أشرر ) على وزن ( أفعل ) ، إلا أنه حذف الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وادغمت إحدى الرأين في الأخرى لاجتماع حرفين متحركين من جنس واحد <sup>(٣)</sup> ، وكذلك كلمة ( خير ) ، فأصلها ( أخير ) ، حذف الهمزة منها لكثرة الاستعمال .

١٤- حذف ياء الأضافة في النداء ، إنما تسقط ياء الإضافة في النداء لكثرة الحذف فيه والاستعمال . ومن الآيات التي ورد فيها حذف ياء الإضافة ، قوله تعالى: ﴿ يا عباد الذين آمنوا ﴾ <sup>(٤)</sup> ، و ﴿ يا بنيّ أقم الصلاة ﴾ <sup>(٥)</sup> ، و ﴿ يا بنيّ لا تشرك بالله ﴾ <sup>(٦)</sup> ، و ﴿ يا بنيّ إنها ﴾ <sup>(٧)</sup> ، و ﴿ فبشر عباد الذين ﴾ <sup>(٨)</sup> ، و ﴿ يا بني اركب معنا ﴾ <sup>(٩)</sup> .

ويقاس عليه كل حذف لياء الإضافة ، والاجتزاء بالكسرة <sup>(١٠)</sup> .

١٥- ( ابنَ أمّ ) ، ( وابنَ عمّ ) : ( ابنَ أمّ ) <sup>(١١)</sup> ، يُقرأ بفتح الميم وكسرهما ، والحجة لمن فتح: أنه جعل الاسمين اسماً واحداً ، كخمسة عشر

(١) «لسان العرب»: مادة (خير) .

(٢) «سورة المائدة»: (٦٠) .

(٣) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٢٩٨/١) .

(٤) «سورة العنكبوت»: (٥٦) .

(٥) «سورة لقمان»: (١) .

(٦) «سورة لقمان»: (١٣) .

(٧) «سورة لقمان»: (١٦) .

(٨) «سورة الزمر»: (١٧-١٨) .

(٩) «سورة هود»: (٤٢) .

(١٠) ينظر «الحجة» لابن خالويه: (١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٩) .

(١١) «سورة الأعراف»: (١٥٠) .

فبناء على الفتح . وقال الزجاجُ: إنما جازَ الفتح في هذا ، وفي ( ابن عم ) ، لكثرة الاستعمال . ألا ترى أنَّ الرجل يقول ذلك لمن لا يعرفه ، فكأنه لكثرة الاستعمال عندهم يخرج عَمَّنْ حوله ، فخفف الكلمتان بأن جعلتا واحدة ، وبنينا على الفتح ، ولا يجوز ذلك في غيرهما <sup>(١)</sup> .

١٦- تخفيف ( رَبِّ ) : قوله تعالى: ﴿ رَبِّمَا يُوذُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مسلمين ﴾ <sup>(٢)</sup> ، قرئ ( ربما ) ، لتشديد والتخفيف ، والتشديد على الأصل ، والتخفيف لكثرة الاستعمال ، وهما لغتان جيدتان ، وفيها لغات <sup>(٣)</sup> .

١٧- حذف التنوين في الأسماء المصروفة لغير الإضافة ولغير دخول الألف واللام ، وإنما لكثرة الاستعمال .

قال سيبويه: « وذلك كل اسم غالب وصف بابن ثم أضيف إلى اسم غالب، أو كنية ، أو أم : وذلك قولك: هذا زيدُ بن عمرو ، وإنما حذفوا التنوين من هذا النحو حيث كثر في كلامهم » <sup>(٤)</sup> .

وقال ابن خالويه: « قوله تعالى: ﴿ وقالت اليهودُ عزيزُ ابن الله ﴾ <sup>(٥)</sup> ، يُقرأ بالتنوين وتركه . فلمن نَوَّن حجتان: إحداهما - أنه وإن كان أعجمياً فهو خفيف ونمائه في ( الابن ) ، . والأخرى: أن يجعل عريباً مصغراً مشتقاً، وهو مرفوع بالابتداء و ( ابن ) خبره .

وإنما يحذف التنوينُ من الاسم لكثرة استعماله إذا كان الاسم نعتاً كقولك: جاءني زيدُ بن عمرو . فإنَّ قُلْتُ: كانَ زيدُ بن عمرو ، فلا بُدَّ من التنوين لأنه خبر . وهذا إنما يكون في الاسم الذي عرف بأبيه وشهر بنسبه إليه ، والحجة لمن ترك التنوين جعله اسماً أعجمياً ، وإن كان مصغراً ، لأنَّ من

(١) «الحجة»: (١٦٤-١٦٥) ، وتنظر (يا ابن أم) (طه / ٩٤) ، «الحجة»: (٢٤٦-٢٤٧) .

(٢) «سورة الحجر»: (٢) .

(٣) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٦٣/٢) .

(٤) «الكتاب»: (١٤٧/٢) .

(٥) «سورة التوبة»: (٣٠) .

العرب مَنْ يدع صرف الثلاثي من الأعجمية مثل: ( لوط ، نوح ، عاد )<sup>(١)</sup> .  
١٨- ( أشياء ) : جاءت على القلب لكثرة الاستعمال .

أصلها عند الخليل وسيبويه: ( شياء ) على وزن ( فعلاء ) ، فلما كثر استعمالها ، استثقلت همزتان بينهما ألف ، فنقلت الهمزة الأولى وهي لام الفعل قبل فاء الفعل وهو الشين ، فصارت ( أشياء ) على وزن ( لفعاء ) ، ومن أجل أن أصلها ( فعلاء ) ، كحمراء امتنعت من الصرف ، وهي عندهم اسم للجمع ، وليست بجمع شيء<sup>(٢)</sup> .

وعند الأخفش ، والفراء ، والزيادي: ( أشياء ) ، وزنها ( أفعلاء ) ، وأصلها ( أشياء ) ، كهَيِّنَ ، وأهوناء ، فمن أجل همزة التانيث لم ينصرف ، ولكنّه خُفّف فأبدل من الهمزة الأولى ، وهي لام الفعل ياءً لانكسار ما قبلها ، ثم حذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال ، فشيء عندهم أصله ( شيء ) على وزن ( فيعل ) كميّت ، ثمّ خُفّف إلا أن عين الفعل من ( شيء ) ياء ، وعين الفعل من ( هيّن ) واو ، لأنه من ( هان يهون )<sup>(٣)</sup> .

وقال بعض أهل النظر: « ( أشياء ) ، أصلها ، ( أشياء ) ، على وزن ( أفعلاء ) ، كقول الأخفش . إلا أن واحداً ( فاعِل ) : كصديق وأصدقاء ، فاعِلٌ على ما تقدم من تخفيف الهمزة ، وحذف العوض ، وحسن الحذف في الجمع ؛ لحذفها من الواحد ، وإنما حذفت من الواحد تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، إذ شيء يقع على كل مسمّى من عرض ، أو جسم ، أو جوهر ، ولم ينصرف لهمزة التانيث في الجمع ... »<sup>(٤)</sup> .

(١) «الحجة»: (١٧٤) .

(٢) ينظر «الكتاب»: (٣٧٩-٣٨٠) .

(٣) ينظر «المقتضب»: (٣٠/١) ، و«معاني القرآن»: (٣٢٣/١) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن»: (٢٣٨-٢٤١) .

١٩- ( هار ) : جاء على القلب لكثرة الاستعمال .

قوله تعالى: ﴿ جَرِفِ هَارٍ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ( هار ) أصله ( هائر ) . وقال أبو حاتم: أصله ( هاور ) ، ثُمَّ قلب في القولين جميعاً ، فصارت الواو والياء آخراً فحذفها التنوين ، كما حذف الواو والياء من ( غاز ورام ) ، وذلك في الرفع والخفض ... وأجاز النحويون أن يُجرى ( هار ) على الحذف ، ولا يقدر المحذوف ؛ لكثرة استعماله مقلوباً فيصير كالصحيح ، تعرب الراء بوجوه الإعراب. ولا يرد المحذوف في النصب ، كما يفعل بغاز ورام ، ومن رأى هذا جعله على وزن ( قُعل ) ، كما قالوا: يومكم راحٌ ، فرفعوا وهو مقلوب من (رائح) ، لكنهم لمَّا كثر استعمالهم له مقلوباً جعلوه ( فعلاً ) ، فأعربوه بوجوه الإعراب ، ويجوز عندهم أن يُجرى على القياس كغاز ورام ، فيكون وزنه فاعلاً مقلوباً إلى فاعل ، ثُمَّ يُعلِّ ؛ لأجل استثقال الحركة على حرف العلة، ودخول التنوين كما أعلوا قولهم قاض ورام وغاز في الرفع والخفض ، وصححوه في النصب لحقة الفتح <sup>(٢)</sup> .

٢٠- الاستعمال في غير الأصل الذي إشتق منه: ومن ذلك قولهم (تعال). ففي قوله تعالى ( بالمتعال ) <sup>(٣)</sup> ، دليل على أن اللغة تؤخذ سماعاً لا قياساً ، إذ يقولون: ( الله متعال ) من تعالى ، ولا يقولون: ( متبارك ) من (تبارك). وأمَّا قولهم: تعال يا رجل . فأصله ( ارتفع ) ثُمَّ كثر استعماله حتى قيل لمن في أعلى الدار ، تعال إلى أسفل . فإن قيل كيف تنهى من قولك: (تعال) ؛ لأنَّ نقيض الأمر ( النهي ) ؟ فقل: إنَّ العرب إذا غيرت كلمة عن جهتها ، أو جمعت بين حرفين ، أو أقامت لفظاً مقام لفظٍ ألزمتها طريقة واحدة ، كالأمثال التي لا تنقل عن لفظ مَنْ قيلت فيه أبداً ، كقولهم في الأمر: هَلَمْ وهات يا رجل .

وصة ومة ، فأمرت بذلك ، ولم تنه منه ، لأنها حروف أفعال ، وضعت

(١) «سورة التوبة»: (١٠٩) .

(٢) «مشكل إعراب القرآن»: (٣٦٦-٣٦٧) .

(٣) «سورة الرعد»: (٩) .

معانيها لأمر فقط ، فاجريت مُجرى الأمثال اللازمة طريقة واحدة بلفظها <sup>(١)</sup>.

وقال مكّي في قوله تعالى: ﴿ فتعالين ﴾ <sup>(٢)</sup>: « وهو من العلو ، وأصله (الارتفاع) ، ولكن كثر استعماله حتى استعمل في معنى ( أنزل ) ، فيقال للمتعالى ، تعال ؛ أي انزل » <sup>(٣)</sup>.

٢١- ( كآين ) : وهذا أيضاً من التغير عن الأصل .

قوله تعالى: ﴿ وكآين ﴾ <sup>(٤)</sup> ، هي ( أي ) ، دخلت عليها كان التشبيه فصار الكلام بمعنى ( كم ) ، وثبت في المصاحف بعد الياء نون ، لأنها كلمة نقلت عن أصلها ، فالوقف عليها بالنون اتباعاً للمصحف . وعن أبي عمرو أنه وقف بغير نون على الأصل ؛ لأنه تنوينٌ . فأمّا مَنْ أخرّ الهمزة وجعله مثل: (فاعل) ، وهو ابن كثير فقليل أنه: ( فاعل ) من الكون ، وذلك بعيد لآتيان (من) بعده ، ولبنائه على السكون <sup>(٥)</sup>.

وقيل هي كاف التشبيه دخلت على ( أي ) ، وكثر استعمالها بمعنى ( كم ) ، فصارت كلمة واحدة ، فقلبت الياء قبل الهمزة ، وصارت ( كيّء ) ، فخفف التشديد ، كما خففوا ميّئاً وهيئاً ، فصارت ( كيّء ) مثل: ( فيعل ) ، فصارت ( كآين ) ، وأصل النون التنوين ، فالقياس حذفه في الوقف ، ولكن مَنْ وقف بالنون اعتل بأن الكلمة تغيرت ، وقلبت فصار التنوين حرفاً كالأصل <sup>(٦)</sup>.

٢٢- استبعاد الأصل لقلة الاستعمال كما في قوله تعالى: ﴿ ثلاثمائة سنين ﴾ <sup>(٧)</sup> ، مَنْ نوّن المثة استبعد الإضافة إلى الجمع ، لأنّ أصل هذا العدد أن

(١) «الحجة»: (٢٠١) .

(٢) «الأحزاب»: (٢٨) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٥٧٦/٢) .

(٤) «سورة آل عمران»: (١٤٦) .

(٥) ينظر «النشر»: (٢٤٢/٢) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن»: (١٧٥/١) ، وينظر «الكتاب»: (٣٧٨/٢) ، و«شرح الرضى»:

(٢٥/١١) .

(٧) «سورة الكهف»: (٢٥) .

يضاف إلى واحد تبين جنسه . . . وَمَنْ لم يَنْوَن أضاف مئة إلى سنين ، وهي قراءة حمزة والكسائي <sup>(١)</sup> ، أضافاً إلى الجمع كما يفعلان في الواحد ، وجاز لهما ذلك ؛ لأنهما إذا أضافا إلى واحد فقالا: ثلاثمائة سنة ، فسنة بمعنى سنين ، لا اختلاف في ذلك ، فحملاً الكلام على معناه ، فهو حسن في القياس ، قليل في الاستعمال ، لأنَّ الواحد أخف من الجمع ، وإنما يبعد من جهة قلة الاستعمال ، وإلا فهو الأصل <sup>(٢)</sup> .

٢٣- بقاء حركة الفتح في ( بين ودون ) ، مع وقوعها مرفوعة لكثرة الاستعمال ، وهذا عند الفراء .

قال مكِّي: « قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ﴾ <sup>(٣)</sup> اسم كان مضمراً فيها، والتقدير: كان الإنفاق بين ذلك قواماً . وقواماً خبر كان ، وأجاز الفراء أن يكون ( بين ذلك ) اسم كان وهو مفتوح ، كما قال: ﴿ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ ﴾ <sup>(٤)</sup> ، فدون عنده مبتدأ وهو مفتوح ، وإنما جاز ذلك ، لأنَّ هذه الألفاظ كثر استعمال الفتح فيها فتركبت على حالها في موضع الرفع ، و كذا يقول في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ <sup>(٥)</sup> ، وهو مرفوع بتقطع ، لكنه ترك مفتوحاً لكثرة وقوعه كذلك والبصريون على خلافه <sup>(٦)</sup> .

٢٤- همزة ( آل ) للقطع ، وصارت وصلاً لكثرة الاستعمال:

قال مكِّي: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْلَمْ اللَّهُ ﴾ <sup>(٧)</sup> ، و﴿ أَلَمْ يَأْلَمْ ذَلِكَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

(١) ينظر «النشر»: (٣١٠/٢) .

(٢) «مشكل إعراب القرآن»: (٤٤٠/١) .

(٣) «الفرقان»: (٦٧) .

(٤) «سورة الجن»: (١١) .

(٥) «سورة الأنعام»: (٩٤) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن»: (٥٢٦-٥٢٥/٢) .

(٧) «سورة آل عمران»: (١ ، ٢) .

(٨) «سورة البقرة»: (١ ، ٢) .



فأما فتحة الميم ، فيجوز أن تكون فتحت لسكونها ، وسكون اللام بعدها يقصد بفتحة الميم من الحروف المقطعة ، وسكون اللام من لفظ الجلالة ، إذ يقرأ - ميم الله - ويجوز أن تكون فتحت ؛ لأنها نوي عليها الوقف ، فألقى عليها حركة الوصل المبتدأ بها ، كما قالوا: واحد اثنان ثلاثة أربعة ، فألقوا حركة الهمزة من أربعة على أربعة على الهاء من ثلاثة وتركوها على حالها ، ولم يقلبوها تاء عند تحريكها إذ النية فيها الوقف .

وقال ابن كيسان: « ألف ( الله ) وكل ألف مع لام التعريف قطع بمنزلة (قد)، وإنما وصلت لكثرة الاستعمال . فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التي بمنزلة ( قد ) من الله . ففتحها بفتحة الهمزة . وأجاز الأخفش كسر الميم لالتقاء الساكنين ، وهو غلط لا قياس له لثقله »<sup>(١)</sup>.

٢٥ - إعمال المعاني في الظروف ؛ لكثرة عددها في الكلام بخلاف المفعولات: قوله تعالى: ﴿ فكيف إذا جمعناهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، كيف سؤال عن حال، وهي هنا تهديد ووعيد ، وموضعها نصب على الظرف ، والعامل فيها المعنى الذي دلت عليه ( كيف ) تقديره: فعلى أي حال يكون حين يجمعون ليوم لا شك فيه ، والعامل في ( إذا ) ما دلت عليه ( كيف ) ، والظروف متسع فيها تعمل فيها المعاني التي يدلُّ عليها الخطاب بخلاف المفعولات ، فهذا أصل يكثر دوره في القرآن والكلام<sup>(٣)</sup>.

٢٦ - التحريك في الكسر إلى الفتح لكثرة الاستعمال ، أخذوا بالحركة الخفيفة ، وتجاوزوا الثقيلة - الكسرة - من ذلك قوله تعالى: ﴿ من الناس ﴾<sup>(٤)</sup> ، حركت نون ( من ) لالتقاء الساكنين ، وكان الفتح فيها أولى من الكسر ، وإن كان الكسر هو الأصل ، لانكسار ما قبلها وكثرة الاستعمال . ألا ترى أنهم قالوا: ( عن الناس ) ، فكسروا النون لفتحة العين قبلها وجوزوا كسرة النون

(١) «مشكل إعراب القرآن»: (١/١٥٣-١٥٤).

(٢) «سورة آل عمران»: (٢٥) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (١/١٥٣-١٥٤) .

(٤) «سورة البقرة»: (٨).

في قولهم: ( من ابنك ) ، لعدم كثرة الاستعمال ، وإن وجدت الكسرة قبلها<sup>(١)</sup> .

٢٧- فتح حرف المضارعة من الفعل الثلاثي لكثرة الاستعمال ، وضم حرف المضارعة من الرباعي لقلة الاستعمال .

قوله تعالى: ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾<sup>(٢)</sup> ، قرئ بفتح الياء وضمها ، فمن قرأه بالفتح جعله من ( حَزَنُهُ ) ، وهو فعل ثلاثي ، وحرف المضارعة من الفعل الثلاثي مفتوح العين للفرق بينه وبين الرباعي . وَمَنْ قرأ بالضم جعله من ( أَخْزَنُهُ ) ، وهو فعل رباعي ، وحرف المضارعة من الفعل الرباعي مضموم ، وإنما فعلوا ذلك للفرق بينهما ، وإنما كان الثلاثي أولى بالفتح ، والرباعي أولى بالضم ، لأنَّ الثلاثي أكثر والرباعي أقل ، فأعطوا الأكثر الأخف وهو الفتح ، وأعطوا الأقل الأثقل وهو الضم ، ليعادلوا بينهما<sup>(٣)</sup> .

٢٨- عدم تسكين المفتوح في حالة التخفيف في جملة من الحالات ، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ من الرَّهْب ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقيل الرهب هاهنا ( الكم ) ، تقول العرب: أعطني ما في رهبتك . فإن صحَّ ذلك ، فإسكانه غير واجب . لأنَّ العرب تسكن المضموم والمكسور ، ولا تسكن المفتوح . ألا ترى إلى حكاية الأصمعي عن أبي عمرو ، وقال: قلتُ له: أنت تميل في قراءتك إلى التخفيف فلم لا تقرأ: ﴿ يدعوننا رغباً ورهباً ﴾ بالإسكان ؟ فقال لي: ويملك أجملُ أخفُ أم جملُ ؟<sup>(٥)</sup> .

٢٩- الإمالة لكثرة الاستعمال: من ذلك إمالة ( النار ) ، وتفخيم (الجار)؛ لكثرة دوران الأولى على الألسن ، وقلة الثانية<sup>(٦)</sup> ، وإمالة ( الكافرين ) ،

(١) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (١/٥٣ ، ١٣٢) .

(٢) «سورة آل عمران»: (١٧٦) .

(٣) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (١/٢٣١-٢٣٢) .

(٤) «سورة القصص»: (٣٢) .

(٥) «الحجة»: (٢٧٧) .

(٦) ينظر «الحجة»: (٦٧) .

وعدم إمالة ( الجبارين والشاكرين ) ؛ لكثرة الأولى ، وقلة الثانية والثالثة <sup>(١)</sup> .

٣٠- ضم العين من ( العُيون ) ، والجيم من ( الجيوب ) ، وكسر الباء من ( البيوت ) ، حيث أبقوا الأولى والثانية على حالها ، وكسروا الباء من البيوت ، حيث أبقوا الأولى والثانية على حالها ، وكسروا الباء من البيوت لكثرة الاستعمال <sup>(٢)</sup> .

من هذا العرض يتبين لنا أنَّ العرب تخفف ما كثر استعماله بأنواع من التخفيف ، سواء كان ذلك بحذف ، أو بقلب ، أو بتغيير عن الأصل ، أو بإعلال أو بإبدال ، أو بإمالة ، في حين أنهم يعمدون إلى تشغيل ما قل دورانه ليعادلوا بين الأمرين وللتفريق بينهما . والله أعلم .

---

(١) المصدر نفسه : (٧٣) .

(٢) المصدر نفسه : (٩٣-٩٤) .

